

تغول جهاز مخابرات الحزب

(باراستن) ل KDP والمنطق القبلي 2-4

أيوب بابو بارزاني، 29.3.2022

أين كان موقع قيادة الحزب الديمقراطي الكردستاني من كل هذا؟ لا بد من القول إن أساس العملية السياسية كان مرتبطاً بالدرجة الأولى بشخص ملا مصطفى (رئيس حدك) وتميزت علاقاته مع جميع أعضاء مكاتبه السياسية، ومن قبل، مع الضباط الأربعة الذين أعدمهم النظام الملكي عام 1947، اتسمت بالأزمات والاقصاء والتناحر. تم طرد حمزة عبد الله السكرتير العام للحزب الديمقراطي الكردستاني مع رفاقه عام 1959 بخلاف النظام الداخلي للحزب وسلمت المفاتيح لإبراهيم أحمد. وبالرغم من التناقضات والخلافات الداخلية، فقد آثر الجانبان تفادي الانفجار، لقد كانت حاجة أحدهم للآخر ضاغطة رغم فقدان الثقة المتبادلة.

ونحن هنا لسنا بصدد اللقاء اللوم على من هو المسؤول عن تدهور الأوضاع في العراق، إنما هدفنا توضيح توجه قادة (حدك) لبناء علاقات مع أجهزة الاستخبارات الأجنبية وتطورها وأثرها على حاضر ومستقبل شعبنا الكردي والعراق عموماً.

معاداة الرجعية الكردية لقانون الإصلاح الزراعي انعكس في تجمع الأغوات وأتباعهم في تموز 1961 وقرروا قطع الطريق بين رانية وكويسنجق والسليمانية وبين بازيان ودربندي خان وعدم السماح للقوات الحكومية بالتنقل.

وبعبارة أدق سبق رؤساء العشائر زعامة (حدك) البدء بالانتفاضة رفضاً لقانون الإصلاح الزراعي، وخشي قادة (حدك) تهميش دورهم فانخرطوا في الحركة الرجعية الكردية لكي تأخذ زمام القيادة، وهذا خير مؤشر على بدايات الانتفاضة المسلحة وافتقارها إلى التخطيط والدراسة المعمقة فأقحموا الشعب الكردي في صراع مسلح دون الأخذ في الحسبان المخاطر الجسيمة على مستقبله وعلى تضامن الشعبين العربي والكردي! وتفاهموا مع حزب البعث العربي الاشتراكي الذي كان يخطط لقلب نظام قاسم في شباط 1963، نجح الانقلاب البعثي فسقط نظام قاسم وبدأت المجازر البعثية ضد الحزب الشيوعي والقوى الديمقراطية العراقية وثم شنّ هجوماً وحشياً على كردستان صيف 1963، وهذا ما دعمته القوى الغربية الاستعمارية بالأخص لندن وواشنطن واعتبرته انتصاراً لها كما كان الانقلاب موضع ترحيب أنقره وطهران.

افتقرت الحركة الكردية المسلحة منذ انطلاقها عام 1961 إلى جبهة وقيادة سياسية وعسكرية موحدة و متماسكة، حركة بدأت برأسين وبرنامجين مختلفين، وسرعان ما ظهرت الخلافات للعلن بعد الاعلان عن الاتفاقية بين المشير عبد السلام عارف وملا مصطفى في 10 شباط 1964، ولم يعر ملا مصطفى أية أهمية للمكتب السياسي، ووقف الأخير ضد الاتفاقية. هذا الخلاف تطور ولم يحلّ بالطرق السلمية ووفق النظام الداخلي للحزب.

ولكي نفهم بشكل أفضل علينا النظر لطبيعة العناصر القيادية ل (حدك) وكيف كانت تفكر وتدير دفة القيادة سياسياً وعسكرياً. فأعضاء المكتب السياسي عاشوا في مجتمعات المدينة كانوا خريجي الجامعات والكليات العراقية خلال الاربعينات والخمسينات من القرن الماضي ومنهم رجال قانون واداريون ومهندسين، ولم يكن هناك معرفة وتفهم متبادل بين رئيس الحزب وهو أكبرهم عمراً وينتمي إلى جيل أكثر قديماً وأعضاء المكتب السياسي، (حمزه ورفاقه وإبراهيم أحمد، جلال طالباني، على عبدالله، نوري شاويس، عزيز شمزي، على عسكري، صالح اليوسفي وأعضاء آخرين، فأعضاء المكتب السياسي كانوا يجهلون جهلاً تاماً ما يقارب أربعين عاماً من (السيرة الذاتية لرئيسهم). كان أعضاء المكتب السياسي ل (حدك) يشكلون كتلة موحدة، واختاروا ملا مصطفى رئيساً للحزب في غيابه وقاموا ببث دعاية واسعة له وتقديمه كبطل قومي، وبهذه الخطوة غير المدرسة وقعوا في خلافات خطيرة في كثير من الأحيان دموية وهدامة وأصابت الحركة التحررية الكردية في الصميم مما أفقدها قدرة بناء الإدارة الديمقراطية وتثبيت الهوية وضمن الحقوق القومية والحريات العامة. فلما مصطفى لم يكن مطمئناً لمواقف أعضاء مكاتبه السياسية ولا أعضاء مكاتبه السياسية كانوا راضين عن قراراته الفردية، وبهذا كُتِلوا مجتمعهم وسدّوا أمامه أبواب التغيير والتجدد لعقود طويلة. فرئيس الحزب يتوقع الطاعة المطلقة دون نقاش.

قضى رئيس الحزب أكثر من نصف عمره في الريف المنعزل وما فيه من قيم دينية وعشائرية ومغامرات وتمجيد دور بطل القبيلة الذي يدافع عنها حتى الرمق الأخير. ولا شك انه اكتسب تجارب غنية أثناء أعوام 1943 – 1947 عند قيام جمهورية مهاباد وسقوطها، ثم لجوؤه مع ما يناهز 500 من البارزانيين إلى الاتحاد السوفيتي حتى عام 1958. لكن (الأسلوب القبلي) في إدارة الصراعات والأزمات وقيادة الانتفاضة المسلحة والعلاقات الخارجية لازمه حتى النهاية، ولم يكن ذلك خافياً بعد عودته من الاتحاد السوفيتي عام 1958، طريقة التحليل والتفكير والتمسك بالسلطة وأدواتها ورفض تقاسمها مع الآخرين كانت راسخة وخاضعة للمنطق القبلي ولم يعبأ بدستور الحزب ونظامه الداخلي أو احترام رأي الأغلبية حسب نصوص بنود الدستور الحزبي. وكان يؤمن بمنطق القوة مع الخصوم والمعارضة، فبالنسبة له عندما تمتلك القوة والمال فأنت دائماً على حق، فالقوة تحول نقاط ضعفك إلى قوة ونقاط قوة خصمك إلى مسخرة، ولا أحد يجبراً الوقوف في وجهك.